

كلمة التوحيد ميراث أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم

السلام - { كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } أي: هذه الكلمة.. هي التي جعلها باقية في عقبه، قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } هذا معنى لا إله إلا الله: { إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } فترا من كل ما يعبدون من الآلهة، واستثنى ربه الذي فطره، فاستثنى من معبوداتهم إلهها واحدا وهو الله، إلا الذي فَطَرَنِي، فمن كان كذلك فقد حقق معنى لا إله إلا الله: البراءة من كل المعبودات إلا الفاطر الذي هو خالق الخلق؛ وهو الله تعالى. فالإنسان إذا أراد أن يحقق التوحيد يقول: إنني براء من كل ما عُبد من دون الله، ولا أتولى، ولا أعبد إلا الله. وهكذا أيضا سمي الله -تعالى- هذه كلمة باقية في عقبه، أوصى بها عَقْبَهُ، يعني: أولاده، قال الله تعالى: { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } يعني: أسلمت أمري لله وحده، يعني: تبرات من غيره، واستسلمت لأمره، وفوضت أمري إليه، وألجأت ظهري إليه؛ فهو إلهي وحده، لا إله لي غيره { أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ثم قال تعالى: { وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ } يوصي بنيه بأن يتمسكوا بكلمة لا إله إلا الله، يوصيهم بالاستسلام لله وحده، وترك العبادة لغيره، وترك الالتفات إلى سواه من أية مألوه، ومن أية معبود؛ بل يجعل المسلم أمره لله وحده، فإذا كان كذلك فإنه ممن تمسك بكلمة لا إله إلا الله، وقد جاء مثل هذه الآية؛ إذ قال الله -تعالى- عن إبراهيم { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُوكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَأَبْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ }؛ فاستثنى من معبوداتهم ربه، وهذا دليل على أنهم يعبدون الله، ويعبدون آلهة أخرى معه، وأنهم في عبادتهم اعتمدوا على أن هذا فعل آبائهم. وأبؤهم: هم الذين اقتدوا بهم في ذلك؛ كما قال تعالى: { إِنَّهُمْ لَعَوْا آبَاءَهُمْ صَالِينَ فَأُتِيَ عَلَى آثَارِهِمْ بِهَرَجُونَ } . فهكذا حكى الله عن إبراهيم أنه تبرا من معبوداتهم: { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } هذا معنى لا إله إلا الله: أن تتبرا من كل المعبودات؛ إلا الرب الإله الحق الذي هو رب العالمين { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } وصف ربه بهذه الصفات؛ حتى يقتنعوا؛ ولكنهم لم يقتنعوا. وحسبك ما حكى الله عن إبراهيم وحسبك أن تكون من أتباعه؛ مع أنه قد خاف عبادة غير الله على نفسه، وعلى ذريته، فقال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } يدعو ربه. وقد حكى الله -تعالى- عنه أنه حطم أصنامهم؛ لما أنه سألهم: { مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } وجدنا آباءنا يعبدونها، فسألهم ماذا تفيدكم؟! فلما أخبروه بأنهم مقتدون بآبائهم، توعدهم بأنه سيحطمها، ثم قال: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِيرِينَ } فلما جاء عيد لهم، يوم عيد يخرجون فيه، تَعَلَّلَ وقال: { إِنِّي سَقِيمٌ } إني لا أستطيع أن أخرج معكم، فلما خرجوا كلهم.. رَاعَ إلى الهتهم، وإذا هم قد جعلوا عندها طعاما عند كل صنم، فقال: { أَلَا تَأْكُلُونَ } يخاطب الأصنام: ما لكم؟! لماذا لا تأكلون من هذا الطعام؟! { مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ } فعند ذلك راع عليهم ضربا باليمين، وحطم تلك الأصنام: { فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ } حطم الأصنام إلا أكبرها، وعلق الفأس في الكبير، فلما جاءوا وإذا هي قد حطمت، وأصبحت جدادا، { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } سموها الهتهم! { قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ } فأتوا به، { قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا } { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } أسألوهم! قولوا لهم: من الذي حطمكم؟! فقالوا: { لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } عند ذلك { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ } . فإبراهيم -عليه السلام- حطم هذه الآلهة؛ ومع ذلك خاف من العبادة أن يعبدها هو وأولاده! قال: { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَحَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ } . فإذا كان هذا فعل إبراهيم أنه يخاف على نفسه، فنحن أولى بأن نخاف على أنفسنا، أن نقع فيما وقع فيه أولئك العباد ونحوهم. وبكل حال.. فإن هذا دليل على أهمية هذه الكلمة؛ حيث إن إبراهيم جعلها باقية في عقبه؛ لعلهم يرجعون إلى الله. وعقبه -يعني- أولاده من بعده.